بحث عام | قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة | 01 أغسطس 2016

إيديولوجيا التقدم وتمثلات اليوتوبيا في الرواية العربية المعاصرة

تمظهرات المستقبل وأسئلة النص

عبد الله بن صفية
باحث جزائري

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2016
All rights reserved © 2016

الملخص:

لمّا كان المستقبل [بما هو زمن الاحتمال والتوقع وزمن الأمل والانتظار] أهمّ زمن نفسي، فقد عبّرت الرّواية العربية عنه في منجزها السردي بأشكال وصيغ متعددة، فانسكبت لغتها سائغة باتجاهه حاملة في ذاتها رؤية معينة للتعبير عنه. فاتجهت بوعيها الفني وبإمكاناتها البنيوية والمعنوية إلى استشكال ما فكّرت فيه الذات العربية من موقعها الحضاري والثقافي، عبر زمنها المحكوم بالقادم، والمنعكس داخل النصّ على شكل استشرافات فنية سردية لها ما يميزها فكرياً وما يفردها جمالياً.

وبناء على هذا المنطق، حاولت في هذا البحث أن أكشف طبيعة هذا التشرب للمستقبل كما صوّره نصّ الرّواية العربي المعاصر، وذلك من خلال استشفاف واستنطاق مجموعة من النصوص المعاصرة التي تمثلته بنيتها وبثته مضامينها، بعد أن استشعرت الواقع العربي وبنت عليه آفاقها، لتكون منطلقاً أساسياً في تحديد سياق العمل وتوجيهه، ومتحكماً قاعدياً وصارماً في الوصول إلى النتيجة وتفعيل المقاربة، وقد تمَّ انتقاء هذه المدونات بناء على مجموعة من الشروط، أهمها اختلاف زوايا الرؤية التي تنظر من خلالها إلى المستقبل، إضافة إلى التنويع في الجوانب المستشرفة تغطية للراهن العربي ومستقبله من منظور الرواية العربية المعاصرة، ناهيك عن التحقق من احتوائها على رؤى مستقبلية شاملة يمكن تعميمها، وهو ما من شأنه أن يخدم موضوع البحث ويثري نتائجه الكليّة. وهذه النصوص هي:

- الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء، للروائي الجزائري «الطاهر وطار».

- الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل، للفلسطيني «إميل حبيبي».

- أوان القطاف، للمصري «محمود الورداني».

وقد حاولت في هذا المساق الكشف عن الصور الدلالية الكبرى للمستقبل العربي في هذه النماذج الروائية المنتقاة، وتمّ ذلك بجمعها تحليلاً وتأويلاً تحت عناوين كليّة، باعتبارها رواية عربية واحدة تحكي هموماً مختلفة من منطلقات تطلّعية متباينة، بالنظر إلى سياقات إنتاجها، لكن بتوصيفات سردية مطّردة. وقد اعتمدت في ذلك على مقولتين مركزيتين: مقولة الإيديولوجيا بما تطرحه من مفاهيم وتفريعات فكرية تحمل في ذاتها أسئلة التأخر/ التقدم العربي بالنظر إلى ماضيه وراهنه، ومقولة اليوتوبيا بما تبثّه من أمداء مستقبلية ومرتجيات عربية [فردية وجماعية] لا تؤمن بمحدودية الزمان وضيق الفضاء، وذلك من مختلف الزوايا، خاصة ما تعلّق منها بالجوانب السياسية والاجتماعية والحضارية.

مفتتح:

إنّ اختيار الرواية لموضوع بهذا الحجم لم يكن من باب المصادفة، بل حفّزَ عليه أنَّها أكثر أبواب الأدب قرباً إلى الزمن وألصقها به، بل هي من منظور ملزم الزمن ذاته لأنَّها وببساطة عالم من الحياة. عالم هو الأكثر قرباً من حياتنا، هذا ما ذهب إليه «لوكاش» حين أقرَّ «بالمماثلة الواقعة بين هيكل عالم الرواية وهيكل الحياة، فالبطل [حسبه] في الرواية، كالإنسان في الواقع، يحركه مبدأ التجاوز والحاجة الملحة الثابتة إلى تطابق أحسن مع الواقع الخارجي والرغبة الخالدة في الفعل باستمرار في هذا الواقع ليتفق مع مطالب الإرادة الواعية الحرة»[1].

فالزمن في الرّواية زمن مخالف لكلّ الأزمنة التي نجدها في باقي الأعمال الأدبية، لأنَّه ميزتها الجوهرية، فهو فيها رؤية وموقف من العالم لا مجرد وسيلة يبثّ عبرها الحدث أو توزّع عن طريقها مجموع المضامين السردية. هذا ما يميِّز الرواية عن غيرها زمنياً، أمّا ما يفردها لهذا الموضوع ويصنع خصوصيتها إزاءه فهو ما ذهب إليه «باختين» في مؤلفه «الملحمة والرواية» حين أقرَّ بأنّ الزمن الروائي دون كلّ الأزمنة الأخرى «يظلُّ عديم الاكتمال لأنَّه يملك إمكانية الانفتاح على المستقبل في أيِّ لحظة»[2].

وبغية التوصل إلى مقولات ثابتة تتحكم في هذا الزمن وأمدائه المستقبلية، وترسي دعائمه بما من شأنه أن يرصد لنا الأفق العربي ورؤيته التغييرية من أجل إحقاق ما يُسمّى بالتقدم، وكذلك العوائق التي حالت دونه، كان لزاماً اللجوء إلى ما تمنحنا إياه إيديولوجيا النص الروائي العربي من أسئلة معرفية متصلة بالمستقبل، مبثوثة في المستوى العميق من النماذج المدروسة، وما تحمله هذه الروايات من يوتوبيا عربية تريد من خلالها أن تنهض على أنقاض الواقع.

أولاً: إيديولوجيا التقدّم في الرّواية العربية

وسيخص البحث بالذكر تحت هذا العنوان:

- إيديولوجيا السلطة أو الإيديولوجيا السياسية الحاكمة.
- إيديولوجيا الرفض والسعي نحو التغيير.
- إيديولوجيا التقدّم.

1 عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1988. ص 20

2 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط2، 2009. ص 109

1- بين أفق السلطة وتطلعات المجتمع؛ التطابق والاختلاف:

إنّ العلاقة التي تجمع الإيديولوجيا بالسلطة السياسية هي علاقة وثيقة للغاية، بل وحميمية إلى أبعد حدّ، لأنّ السلطة السياسية هي الهدف والدافع الأساس للفعل الإيديولوجي، والإيديولوجيا في الوقت نفسه هي المعين الذي تستمد منه هذه السلطة شرعيتها؛ فهي التي ترسم لها الحدود وتقرّر لها الصلاحيات.

ووجود إيديولوجيا سياسية لسلطة ما يستتبع بالضرورة وجود صراع منبثق من طبيعة الموقع الذي تشغله هذه السلطة، باعتبارها «قوة اجتماعية تسعى إلى تحقيق مصالحها»[3]، فهي ستستخدم وتسخر هذه القوة لحماية إيديولوجيتها، وهو ما يستتبع استلزاماً نفي مصلحة أخرى، لقوى مغايرة ستصبح فيما بعد إيديولوجيات نقيضة.

وعن طبيعة هذا الصراع يمكن القول إنّ أنجح الإيديولوجيات السلطوية هي الأقلّ خصومة وصراعاً مع الإيديولوجيات الأخرى، حتّى في أبسط تمظهراتها كفعل الشتم، [لأنّ شتم إيديولوجية معينة هو موقف إيديولوجي في حدّ ذاته] وهو ما لا يتأتى إلا إذا:

- استطاعت فهم المتغيرات وتأمين المصالح العامة من أيّ خطر يمكن أن يقع.

- وفّت بوعودها التي قدمتها مشاريع للمستقبل، وألا تخالف بمشاريعها الثقافة السائدة ومرغوب الشعب، لأنّ مرغوبه إن تحقق كان رضاه واضحاً على هذه الإيديولوجية، وآية ذلك تأييدها وعدم الاعتراض على ما تقوم به.

- توصلت إلى إيجاد حلول لمشكلات كبرى سياسية واجتماعية واقتصادية لتوافق بتطلعاتها تطلعات القوى الاجتماعية الفاعلة في الدولة.

النظر في هذه النقاط يمنح المصداقية للقول إنّ نجاح إيديولوجية السلطة متعلق بالمستقبل؛ فطبيعة التطلعات التي تكون أوّل الأمر مشاريع وبرامج هي التي تؤتيها الحكم والسلطة، لكنّ مصداقيتها ومحافظتها على ذاتها مرهون بالمنجز والمحقق. وهنا يتأسس السؤال عمّا إذا كان المستشرف بالصورة التي تطلّع إليها المجتمع أو بصورة مغايرة أكثر إيجابية أو أكثر سلبية. وعند هذا المفترق تنبعث من الإيديولوجيات الأخرى شرارات السخط أو تنزّل قطرات الرضا.

إنّ الباعث إلى هذا الفرش هو دلالات حضور السلطة في الروايات الثلاث، فالقارئ الذي يستوقف مشاهد معينة في رواية من الروايات يلحظ جيداً أنّ السلطة من المقولات المهمة جدّاً المتحكمة في المستقبل

3 فيصل دراج، الواقع والمثال ـ مساهمة في علاقات الأدب والسياسة، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1989. ص 32

الذي استشرفته الشخصيات، ومن الأسباب الرئيسة في المآل الذي وصل إليه بعضها. وعن تمظهرات هذه السلطة في الروايات يمكن أن نجملها بشقين كبيرين هما: السلطة الحاضرة بقمعها والسلطة الغائبة عن أداء دورها.

1-1/ السلطة الحاضرة بقمعها:

وهي السلطة التي لا تقبل الندّ، ولا تعترف بأخطائها، ولا بفشلها في تحقيق المنشود والمنتظر منها، فتنتهج العنف والقوّة ضدّ الآخر للتعويض عن النقص الذي تعرفه جراء فشلها، وقد تستعمل لذلك شتّى السبل من مثل: عمليات التعذيب، أو سياسة تغييب الهويّة، أو التصفية الجسدية، أو التغريب في المكان ... وغيرها، وهو الأمر الذي مثّلت له الرواية العربية كثيراً في منجزها السردي، واستخدمت لتجسيده وسائط رمزية متعددة أبرزها الشخصية الروائية القامعة. وسنكتفي في هذا الموضع برصد أبرز الصور المعبرة عن هذا الحضور السلطوي الذي حملته النماذج الروائية، وذلك من خلال العرض لفعل سلطة المستعمر وفعل السلطات العربية.

أمّا بالنسبة إلى سلطة المستعمر فقد تمثّلت الروايات فعلها بشكليه المباشر وغير المباشر فأشارت إلى حضورها المادي، مثلما فعلت ذلك رواية الصراع العربي ـ الصهيوني «المتشائل»، إضافة إلى ما أشار إليه «وطار» في روايته من تدخل أمريكي عسكري في الأراضي العراقية وغير العراقية.

ولأنّ الاستعمار المباشر من شأنه أن يكسر الطموح العربي في النهضة والرغبة في التحرر بالقوة المادية فيقتل ويرحل ويشرد، لأنّ منشوده يتعارض مع طموح الشخصية العربية والإسلامية من كل جانب، فقد أعلنت الشخصيات الطليعية في الروايات الثلاث رفضها له أو العمل لصالحه، بل وأعلنت عليه الثورة لإخراجه من أراضيها المحتلة.

وبالنسبة إلى الاستعمار غير المباشر فهو استعمار معنوي نابع من السياسات التي تنتهجها سلطات المستعمر للبقاء في المكان ثقافياً، وهو ما أتقنت التعبير عنه رواية الولي الطاهر الذي فرّ إلى الفيافي بسبب ما ساد من وباء غربي في الوطن العربي والإسلامي، وأيضاً رواية «الورداني» قبل أن يسقط رأس أبي الهول حين أصبحت الموسيقى الغربية واللباس الغربي السائد الفكري الذي لا اكتمال للمدنية ـ حسب العربي والمسلم اليوم ـ بدونه.

وبالوجهين الاستعماريين ـ المباشر وغير المباشر ـ أمكن القول إنّ المستقبل الذي يطلبه العربي قد أصبح «مستقبلاً مشروطاً واحتمالاً محتوماً يفرضه النمط الذي اختاروه (...)، وهو من بناء الاستعمار ويصعب التخلص منه»[4].

4 عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة. ص 64

وبالانتقال إلى الحديث عن الوجه الثاني (فعل السلطات العربية) فإنّ الملاحظ من خلال ما عبّرت عنه الشخصيات الروائية أنّه ليس ببعيد عن فعل المستعمر ـ هذا إن فصلناه عنه ـ وقد كانت قصة شهدي عطية الشافعي في رواية أوان القطاف أكثر القصص إبرازاً لهذا القمع العربي لصوت المثقف والمثقفين، فما أراده «شهدي» هو الحرية وتكريس الديموقراطية بأصولها، وهو ما تعارض وطموح السلطة الحاكمة ممثلة في شخص «جمال عبد الناصر» الذي رأى في كل الشيوعيين الخطر المحدق بمستقبل إيديولوجيته وسلطته فأمر بالقمع والتصفية الجسدية للقضاء على ما يحتمل أن يكون معارضة كبيرة في المستقبل، فقتل شهدي وقتل معه الحلم الشيوعي في مصر.

وبالإضافة إلى هذا الاغتيال نجد في رواية «الورداني» أيضاً صورة مشابهة في موضع تمّت فيه اغتيالات كثيرة غير مبررة، وقد قامت بها السلطة ضدّ المتظاهرين لقمع صوت الشعب يقول الراوي: «غير أنّ الرصاص انطلق من مكان ما، وأصاب أوّل ما أصاب أولئك الذين كانوا يحاولون تحطيم الأبواب، ولمحت أشباحهم تتساقط بعيداً، ليستدير الآخرون، وبدأ جري جديد عكس الاتجاه تماماً»[5]، ويقول في موضع آخر «كما أنّ الهتافات كانت قد توقفت أيضاً، ولم يعد هناك إلا الصراخ والشتائم لأمّ الحكومة والرئيس. عندما اصطدمت قدماي بقضبان الترام أدركت أنّنا نجحنا في الابتعاد عن ميدان المعركة وطلقات الرصاص التي لم ينقطع صوتها حتى الآن»[6]، وبذلك كانت هذه الاغتيالات الجماعية وسيلة لقمع المعارضة الشعبية وإشارة واضحة لكل الإيديولوجيات المعارضة للانضمام أو الاستعداد للمواجهة المسلحة.

1-2/ السلطة الغائبة عن أداء دورها:

والمقصود بالسلطة الغائبة مجموع الهيئات السياسية العربية التي لم تنجح إيديولوجيتها أو لم تكرَّس مبادئها، فتقاعس ممثلوها عن تحقيق وعودهم للمجتمع العربي المنتظِر. أمّا بشأن هذا الغياب سردياً فهو المعبر عنه أكثر في رواية «وطار»، فانتشار الوباء في المنطقة العربية والإسلامية واضطلاع الولي بالمهمة الإصلاحية في الفيافي جاء للتدليل على غياب سلطة تقوم بهذا الدور الإصلاحي، وهو الغياب الذي سيعبّر عنه الروائي بصيغة صريحة بعد أن انفتحت أمامه الشاشة الصوفية؛ فالسواد هو الحاضر العربي القاتم الذي تسوده النزاعات المختلفة الداخلية والخارجية والتي كان فيها للسلطة السياسية الحاكمة يد من قريب أو بعيد، لضعف الاستراتيجيات وقصور الرؤية، وهو ما يعني الغياب عن الساحة التغييرية والنهضوية التي ينشدها المجتمع، يقول الروائي: «إنّ السواد هو الغموض الذي يسود العالم العربي، في العلاقات الدولية، وفي العلاقات العربية العربية، والداخلية، هناك تذبذب في المنطقة العربية يساوي فقدان الرؤية في البحر، وهذا واقع وليس افتراضاً»[7].

---

5 محمود الورداني، أوان القطاف. دار الهلال، القاهرة ـ مصر، ط1، 2002. ص 20

6 المصدر نفسه. ص 21

7 الطاهر وطار، الرواية هي ملحمة الحياة، حوار أجراه معه: الخير شوار، الملحق الأدبي لجريدة اليوم الجزائرية، 18 أكتوبر 2004

وعن هذا الغياب في ظلّ هذا الحاضر تطالعنا الرواية بلسان المراسل عبد الرحيم: «نحن في منتصف النهار، والمكاتب الحكومية خاوية الآن. وإنّكم لعلى علم بأنّ مسابقات الهجن استمرت حتى فجر اليوم تحت الأنوار الكاشفة، كما أنّ السواحل الأوروبية، وخاصة الإسبانية، تستوعب عدداً غير قليل من أولي الأمر بعد سنة كاملة من السهر الدؤوب على سير الأمور، خاصة تعبيد الطرقات، ثم حفرها وإعادة تعبيدها»[8]، وفي هذا إشارة إلى أنّ الحضور السياسي في الوطن العربي حضور شكلي يسعى إلى تحقيق طموحات ذاتية لا جماعية عامة.

وإذا كان هذا الغياب غياباً داخلياً وطنياً، فإنّ «وطار» لم يقف في تصويره عند هذا الحد، بل رسم إلى جانب ذلك ملامح الغيابات السياسية للسلطات العربية على المستوى الخارجي، أي على مستوى العلاقات العربية ـ العربية، والعربية ـ العالمية، أمّا بالنسبة إلى الأولى فجسدها بالأمين العام للجامعة العربية الذي كان في خضم السواد الذي اجتاح الوطن العربي بعيداً عن الساحة غائباً عنها، يقول المراسل: «وفي كل مرّة، يقال لنا، إنّ الأمين العام لم يخرج بعد من الحمّام. (...) أمّا مساعدوه فهواتفهم مشغولة»[9]، أمّا الغياب العالمي فقد صوره بالموقف العربي المنتظر لتحليلات الغرب لظاهرة السواد بغية تبنيها كما هي، فاتهموا مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية طهران والقاعدة وغيرها ممّن اتهموهم بخلق هذا السواد/التخلف بالرغم من أنّ القضية قضية عربية وتحتاج إلى تحليل داخلي وحلول سياسية داخلية، الأمر الذي استتبع فيما بعد إقصاء الدول العربية من قائمة المتعاملين معهم بعد نفاد البترول لغياب السياسات الراشدة المستقلة بقراراتها الإصلاحية.

وتحت هذا التوجه السلطوي في الوطن العربي والإسلامي ـ الخارجي والداخلي ـ نجد أنّ كل الشخصيات المؤطر لها سابقاً، قد رفضته وقامت في وجهه من أجل التغيير، الذي نشدته بمختلف الطرق لتلبية كل احتياجاتها وتحقيق كل طموحاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها؛ فمن الحسين إلى شهدي عطية الشافعي ومن الولي إلى بلارة ومن ولاء إلى الأم نجد أنّ الجميع قد قام في وجه السواد وأسبابه، وعلى رأس هذه الأسباب السلطات الحاكمة وذلك لتحقيق التغيير المناسب من أجل مستقبل أفضل.

2- إيديولوجية الرفض والسعي نحو التغيير

لقد شكّلت الروايات قيد الدراسة محطة تجاذب وتنافر، ومرتعاً للمواجهة والحوار، بين مواقف متعددة، وأطراف مختلفة، سياسية وغير سياسية، وهو ما ولّد نسقاً فكرياً متجانس الطرح، يعتمد خطابه على إيديولوجية الرفض المكونة لصورة موقف من الحاضر هو الواقع العربي والإسلامي المعيش.

8 الطاهر وطار، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء. منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005. ص 35

9 الطاهر وطار، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء. ص 45

وهذا الموقف يؤسس فعله السردي على سمات نظرية استوعبت دور الفاعلين في النص والبنية الاجتماعية المشخصة سردياً. ويتميز خطاب الرفض في الروايات بحضور امتدادي يصل الموقف الرافض بنزعة التغيير المستقبلي، والذي يكون إمّا نزعة للتغيير الجذري الكلي، أو نزعة للتغيير الجزئي المعدِّل لامتدادات فكرية معينة أو أنماط انتقائية للواقع، بدءاً بالعلاقات الأسرية والاقتصادية وصولاً إلى التركيبة الفلسفية والاعتقادية[10].

إنّ أول ملاحظة يمكن تسجيلها في سياق الحديث عن إيديولوجية الرفض في الروايات الثلاث هي قوة حضورها، وعلى جميع الأصعدة، وفي هذا تعبير واضح عن نوع الواقع الذي يحياه العربي اجتماعياً، وثقافياً، واقتصادياً، وسياسياً، وحضارياً ...، فكونت بذلك الروايات ـ انطلاقاً من هذا الواقع ـ خلفية فكرية متجانسة، تعلن فيها الرفض وتنشد التغيير، وهو ما جسّدته على مستوى بنيتها السردية في ثلاث مراحل جاءت على النحو التالي:

ـ وعي الشخصية بواقعها أو بجانب من جوانبه.

ـ رفضها لهذا الواقع ← (تشكيل إيديولوجيا).

ـ السعي إلى تغييره جذرياً أو التعديل فيه من أجل مستقبل أفضل.

ووفقاً لهذا الترتيب تحركت الشخصيات الفاعلة في المسار السردي للنصوص الثلاثة بغية تحقيق ما تريد، وقد تمثّل مجال فعلها الخاص بإيديولوجية الرفض والتغيير في ثلاثة محاور رئيسة:

2-1/ المحور السياسي:

وهو المحور الذي يتمّ فيه رفض فعل من أفعال السلطة أو نتيجة من النتائج المترتبة عن قراراتها أو رفض كلّ ما تقوم به أو ما تحققه، فإن كان الأول فهو رفض جزئي، وإن كان الثاني فرفض كلي قد يتطور فيما بعد إلى رفض جذري يكون هدفه التخلص من السلطة وإيديولوجيتها تماماً.

وعن ملامح هذا الرفض نجد أنّ الروايات الثلاث قد أرادت سياسياً التعديل والتغيير الجزئي في كثير من المواضع، فكان نقد السلطة من جانب أو جانبين هو المبتغى الروائي سياسياً. وهذا ما نلمسه في موقف شهدي عطية الشافعي مثلاً من حكومة «جمال عبد الناصر»، حيث نعته بالرئيس رغم ما طاله من تعذيب في سجون دولة «الرئيس»، فما أراد برفضه إلا تكريس الديموقراطية الحقة من أجل أن يتحرر لسان الحزب

10 عمر عيلان، الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي ـ دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة ـ الجزائر، ط1، 2001. ينظر: ص 88 وما بعدها.

الشيوعي أكثر فأكثر، فطالب بذلك واكتفى، مبدياً رضاه بعدها عمّا تقوم به السلطة من جوانب أخرى وعمّا بدر منها من إصلاحات اقتصادية.

والأمر نفسه بالنسبة إلى المطالب التي نشدتها الجموع في المظاهرات المصرية التي شارك فيها عمر والتي طالبت بتغيير جزئي لا يسعى إلى هدم وتقويض النظام بل يطالب فقط بتحسين الوضع، وبذل مزيد من الجهد للقيام بإصلاح سياسي وحكومي يرقى إلى مستوى طموح الشعب من نواح معينة على رأسها المساواة والحرية.

أمّا بالنسبة إلى الرفض المطلق للسلطة الحاكمة فقد عبّرت عنه رواية «إميل حبيبي» من خلال ما تقوله وتفعله الشخصيات الوطنية في النص، فالاستعمار سلطة مرفوضة في كل زمن ومكان مهما كانت إيديولوجيته، فكان بذلك التغيير المنشود مع الكيان تغييراً ثورياً لا إصلاحياً، لأنّ الثورة ممارسة من أجل تغيير أنظمة الجور والضعف والفساد تغييراً جذرياً وشاملاً، الأمر الذي يتيح للقوى الاجتماعية صاحبة المصلحة في هذا التغيير أن تأخذ بيدها مقاليد القيادة، فتصنع الحياة الأكثر ملاءمة وتمكيناً لها، محققة بذلك خطوة على درب التقدم الإنساني نحو مثله العليا، فتكون الحرية هي المركز والمنطلق نحو المستقبل المنشود، وهو ما تريده كلّ الشعوب المستعمَرة والشعب الفلسطيني واحد منها.

2-2/ المحور الاجتماعي:

وهذا المحور هو محور مختلف الشرائح الاجتماعية الفقيرة والمقهورة التي ترفض واقعها فتطالب السلطة بتغييره أو تسعى هي بنفسها إلى فعل ذلك، وقد شكّلت مطالبها، والتي كانت معظمها مادية في الروايات الثلاث، صورة للباحث عن دواء في بيت لا يعرف إلا الداء، فترصدت الطريق للخروج من دائرة الحاجة والعوز إلى الحياة الكريمة إمّا بالهجرة والغربة للاسترزاق خارج الوطن، وهو المعبر عنه بقصة العائد من الخليج في رواية الورداني بعد نصف عمر قضاه بعيداً عن أهله ووطنه، وإمّا باختيار البقاء في الوطن ورفع شعارات الخبز في وجه السلطة ليلقى بدل الخبز رصاصة تطيح به أو بأخ له جمعتهما المظاهرات ضدّ القهر والحاجة، الأمر الذي عبرت عنه الرواية ذاتها.

2-3/ المحور الحضاري:

وشخصية هذا المحور شخصية واعية بعمق واقعها، شخصية مثقفة ترفض الموقع العربي والإسلامي في خارطة العالم الحضارية، وترفض معه راهنها المغترب الشاخص في مفترق الطرق ولأنّ رأس المتهمين بهذا التخلف هو الغرب، الوجه الآخر من حيرتنا، فقد كان حضوره قائماً في الرواية، إن بالتلميح أو بالتصريح، فالغرب تأكيد لتأخر العرب، «هو الحلم، وهو الترجمة الحسابية لما يفصل العرب عن التاريخ الراهن من مسافات شاسعة رغم وجودهم الشكلي فيه. وهو أخيراً الحكم الصارم البارد بأنّه لم يعد بالإمكان

للعربي والمسلم إلا أن يكون في الدرجة الثانية على الأقل، لأنّ حضارة الغرب أو مدنيتهم بمثابة النموذج العالمي الأوّل الشديد الإغراء الثابت الجدوى والفاعلية. لذلك رأى العربي في التجربة الغربية أوّل اختيار ممكن، ولعلّه الاختيار الوحيد المتاح»[11].

لقد رفضت الروايات هذا الاختيار لأنّه بالنسبة إليهم نموذج لا يمكن أن يبثّ في جسد الأمّة إلا الفساد، فكلّ المواجهات المسلحة والحروب الطاحنة والجدالات العقيمة والمتواصلة، والتي هي مركز الوباء العربي والإسلامي، كان مصدرها الغرب، وحول هذا الوباء جاء على لسان الولي الطاهر: «لقد عمّ ليس فقط العالم العربي إنّما كل العالم الإسلامي، زمن صار فيه العرب والمسلمون جنداً للمسيحيين، يحملون أسلحتهم ويلبسون ألبستهم، ويروجون لعقائدهم»[12]، وفي هذا إشارة إلى الانسلاخ عن الهويّة والاغتراب الذي يعيشه المسلم والعربي في الموقع الحضاري الذي يشغله، الموقع الذي ورثه عن إنسان ما بعد الموحدين أباً عن جد، لذا لم يجد «وطار» حلاً للواقع الأسود إلا المواجهة؛ مواجهة الغربي بعد رحلة تيه عربية إسلامية دامت قروناً في الصحراء، من مقام إلى مقام، من زيف إلى زيف، من أجل شيء واحد هو إحلال جيل جديد يمثل إنسان الحضارة الإسلامية، حضارة تقوّض كل شيء وتنطلق من الصفر في «زمن صار فيه الهروب إلى الفيافي، والبدء من البداية واجباً»[13]. وبهذا يكون الروائي قد أعلن عن موقفه الرافض للراهن المتخلّف الذي تحياه الأمّة العربية والإسلامية خاصة وقد كشف لنا بعد الرسالة التي قرأها من تحت الظلام الدامس عن أبرز دركات هذا التخلف الذي فشل في تقويمه بما أراده من بعث للجيل الجديد بعيداً عن مراتع الحضارة الغربية.

3- إيديولوجيا التقدم (مقولة الطفل الواعد في الرواية العربية)

اتسمت الرواية العربية منذ ولادتها بخطابها الذي ينشد الحداثة والنهضة والتقدم، فبشّرت بأزمنة جديدة يكون المستقبل فيها مرجعاً للحاضر والماضي، فتحدثت عن الحرية والتحرر وعن العدالة والمساواة وعن الديموقراطية والانفتاح على الآخر، وغيرها من القضايا المؤسسة لملامح وتباشير الحلم العربي الذي أفل بأفول دولة الموحدين.

لقد رفضت هذه الرواية واقعها لإيمانها بضرورة التغيير من أجل تأسيس مدينة عربية فاضلة، وذلك من خلال رؤية تحاول الجمع بين الخصوصية الأصيلة تارة والانفتاح على الآخر تارة أخرى وبالجمع بينهما في أغلب الأحيان، لأنّ «النهضة أو التقدم حركة دينامية تاريخية مطّردة لدى الإنسان يسعى من خلالها

11 عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة. ص 61 (بتصرف).

12 الطاهر وطار، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء. ص 25

13 المصدر نفسه والصفحة نفسها.

إلى تحرير ذاته انطلاقاً من أصوله نحو المستقبل مع الإفادة قدر المستطاع من تجارب الآخر سواء أكانت تاريخية تنتمي إلى حيز زمني ولّى أم معاصرة له»[14].

وبشأن هذا التقدم يذهب «فيصل دراج» في مؤلفه (رواية التقدم واغتراب المستقبل) إلى القول إنّ الرواية العربية قد استقت وظيفتها من صيغ نظرية جاهزة، ومن تفاؤل مشروع، فعبّرت بلسان روايات طليعية تتسم بمعالجة قضايا التقدم في أشكال مختلفة ومتحولة عن نهضة العرب وشروطها وإرهاصاتها وملامحها الأولى التي بدأت تظهر من النصف الثاني للقرن التاسع عشر، وقد أطلق على هذا النوع من الروايات الحاملة لهذا الفكر التحرري التقدمي صفة (رواية الأفكار المتفائلة) أو (رواية إيديولوجية التقدم)[15]، قاصداً بها الرواية التي تثبتت من واقعها وثبتت ـ بناء عليه ـ فكرة النهضة المناسبة على مستوى خطابها، فكرة السيل الجارف للماضي العربي المتخلف، والعزاء لسنوات الضياع والتشتت التي عرفها. وبذلك استبدلت المتوقع باللامتوقع، فكانت روايات همّها همّ الشعب العربي وفكرتها فكرتهم، وحلمها حلمهم، فهي الرسالة التي قامت على الإفراج عن مكبوت الشعب في ظلّ واقعه البائس.

ولأنّ قوام الرواية فكرياً هو مجموع الاستراتيجيات السردية المستخدمة للتعبير بطريقة فنية عن نسق ذهني معين، فقد احتاجت الرواية العربية إلى مقولات عدة وصيغ مختلفة للإفصاح عن الإجابات التي يختارها الروائي لسؤال النهضة والتقدم، ولعلّ أبرز هذه المقولات على الإطلاق مقولة «الصبي الواعد»، أي ذلك الطفل الذي ينتمي إلى مستقبله، فيرتمي في أحضانه بعيداً عن الحاضر العربي وماضيه بعيداً عن التخلف، ليكون في الرواية بمثابة البشارة، المهدي المنتظر، أو عيسى عليه السلام، فالكل ينتظر قدومه ويأمل الخير كلّ الخير في كبره.

وبالعودة إلى نماذجنا الروائية نجد أنّ خطابها النهضوي وإيديولوجيتها التقدمية قد رست على هذه المقولة المركزية، فاعتبرت الطفل العربي الناهض هو حلّ كل الأزمات، الحاضر منها والقادم، فكان الصبي فيها هو المرجع الذي نتجه به نحو المستقبل، البطل الموعود للزمن المجهول الأصل، المشكِّل لعالمه النفسي والقيمي والجمالي، ففيه الزمن المشتهى الكامل المنقطع تماماً عن الزمن القائم. ففي «أوان القطاف» نلمس حضور هذا الصبي في شخصية «عمر» الذي ندّد بالظلم والقهر، بالفقر والجوع، بالسياسة التي تنتهجها السلطة ممثلة في شخص الرئيس «أنور السادات» والرئيس «جمال عبد الناصر»، فاللافتات المرفوعة والشعارات المهتوف بها جعلت عمر وهو رمز الجيل الصاعد في الرواية يشعر بالدفء لا لشيء سوى لأنَّه أحسَّ ولأول مرّة بأنَّه في الموقع المناسب له حيث يستطيع من خلاله القيام بالدور الذي خلق لأجله، فحمل راية التغيير والبناء والنهضة من أجل غد أفضل.

14 رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق، عمّان ـ الأردن، ط1، 2003. ص 20 (بتصرف).

15 فيصل دراج، رواية التقدم واغتراب المستقبل، دار الآداب، بيروت ـ لبنان. ط1، 2010. ينظر: ص 16 وما بعدها.

وإذا كان صبي «الورداني» قد اكتفى بالتظاهر والمطالبة بالحقوق سلمياً نجد أنّ صبي «إميل حبيبي» قد حمل الرشاش في وجه الكيان الصهيوني، واختار لنفسه طريق الحرية، فكان «ولاء» الطفل المتنامي الشخصية، التي تعيش صيرورتها ذاهبة إلى الاستقلال، نحو المثال الفلسطيني المنشود، فالصبي الذي لطالما كُبت صوته، انفجر فجأة محققاً توليداً ذاتياً حرره من السكون والعطالة، فولاء انطلق «بقوة الروح من حالة معطاة إلى أخرى تتفوق عليها كيفياً (...) فجاء كاملاً مكتملاً، مجسداً صورة المطلق، أو صورة النبي، الذي يفترق عن الآخرين، إنّه ـ مجازاً ـ البطل المخلِّص، الذي يخلق عالماً نظيفاً جديداً إذا حلّت الساعة»[16].

أمّا بالنسبة إلى «وطار» فقد اختار أن يكون صبيه جمعاً، مثَّله بالمريدين والمريدات، الذين أراد الولي منهم بناء عالم جديد في الفيافي، زمنه موحد منسجم لا دنس فيه، فالمريدون حسب الولي هم المخلِّصون، والمؤسسون لجيل مسلم جديد بقيم جديدة، يرون وراء الزمن المعيش زمناً آخر، يؤمن فقط بما ينمو ويصعد ويواجه، ويرفض الثبات والسكون والقيم المسيطرة.

وإلى جانب هذه النماذج نجد أنّ هناك الكثير من الروايات العربية الأخرى قد كرّست دلالات الطفل الواعد لصالح مستقبلها فـ«تحدثت بيقين عن مستقبل عربي متحرر، صاغته أرواح تمشي إلى التحرر، أو ينتظرها التحرر في منتصف الطريق»[17]، منها:

«زينب» لمحمد حسين هيكل

«العاشق»/ «ما تبقى لكم» لغسان كنفاني

«السفينة»/ «البحث عن وليد مسعود» لجبرا إبراهيم جبرا

«الدار الكبيرة» لمحمد ديب

«الرغيف» لتوفيق يوسف

«الأجنحة المتكسرة» لجبران خليل جبران

«عودة الروح» لتوفيق الحكيم

«الأرض» لعبد الرحمن الشرقاوي

16 فيصل دراج، الرواية تكتب صبيها الواعد، مجلة العربي، الكويت، العدد: 622 ـ سبتمبر 2010. ص 69

17 المرجع السابق والصفحة نفسها.

«المعلم علي» لعبد الكريم غلاب

إنّ حضور الصبي الواعد بهذه القوة والكثافة الدلالية الإيديولوجية والبعد الجمالي المنظّم للمادة في الرواية العربية يوحي بفلسفة معينة من التقدم، وإلى نظرة مخصوصة للمستقبل السعيد المنتصر الذي ينتظره العربي، فما عجز عنه الآباء والأجداد أُوكل أمره لهذا الطفل الواعد، لا تقاعساً من قبل المجتمع عن أداء دوره في ظلِّ التخلف الذي يعيشه وفي ظلِّ الحوادث التاريخية والحضارية التي أحاط بها الغرب دول الشرق عموماً والعرب خصوصاً، بما أحضره من جيوش وأدوات إدارية ومعرفية مخضِعة، أهمها زرع الكيان الصهيوني في قلب الأمّة، لكن تجاوزاً لحالة الغبن التي يعرفها ويعيشها بالرغم من المحاولات الدؤوبة للتغيير والبناء، ولا أدلَّ على ذلك من السياسات الكثيرة المنتهجة في شتى المجالات من دولة عربية إلى أخرى، ولو أنَّ الكثير منها ـ إن لم نقل كلّها ـ قد باء بالفشل.

وإذا كان الصبي في الرواية الغربية قد ارتبط بمستقبل إبداعي «نهض على أطلال المعايير الأسرية والتعاليم الدينية وجملة القيود المتوارثة»[18]، فإنّه في الرواية العربية قد قام في سياقه العربي على بعدين رئيسين هما: «الدعوة إلى التقدم الاجتماعي والتخلص من براثن الاستعمار»[19] بنوعيه العسكري والثقافي، إلى درجة قد يصل فيها الصبي الواعد إلى مواجهة السلطة وإيديولوجيتها الخاضعة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لسلطة الدول الغربية.

ويبقى في الأخير أن نتساءل عمّا حققه هذا الصبي وعمّا سيحققه في الواقع بالنظر إلى حضوره شبه المطّرد في الرواية العربية. ثم هل هذا الصبي المشار إليه هو من سبَّق اليوم الثورة الشعبية الداخلية على الخارجية ضدَّ من اعتبرهم الحاجز الذي حال دون نهضته الممهدة لمستقبل ومكانة حضارية أفضل؟

ثانياً: اليوتوبيا والرواية العربية

1- اليوتوبيا والرواية:

ارتبطت كلمة اليوتوبيا في عرف المفكرين والفلاسفة منذ القدم بالأمل في غد أفضل والحلم بجنّة المستقبل، وبالرغم من كل ما لحق هذه الفكرة من مآسٍ على مرِّ العصور إلا أنّ البشر لم يكفّوا يوماً عن استدعائها، فحضورها بالنسبة إليهم في ظلّ الظّلم والاستغلال القائم غدا ضرورياً كحضور الطعام والهواء والماء، فهي شهوة فطرية لم يعرف لها أحد الطريق نحو النضوب، والملجأ الوحيد القادر على نقض العالم

18 ينظر: فيصل دراج، الرواية تكتب صبيها الواعد. ص 73

19 المرجع السابق والصفحة نفسها.

المعيش نقضاً كلياً، وبناء المستقبل المأمول فوقه، يعرفها «عبد الله العروي» بقوله: «هي نوع من التفكير يتمحور حول تمثل المستقبل واستحضاره بكيفية مستمرة»[20].

واليوتوبيا في الأصل «كلمة اخترعها «توماس مور»، من ذاتها، فهي تعني لغة (لا مكان)، يشفع عليها مباشرة (لا زمان)، كي تظلّ معلقة في أثير الذاكرة، لا تنقشع ولا تمطر»[21]، وعن وظيفتها يقول «بول ريكور»: «هي أن تقذف المخيلة خارج الواقع نحو هناك»[22] أي نحو اللامكان واللازمان بالمعنى التخيلي لهذه الجنة التي يريدها الإنسان أن تتحقق ويتحقق فيها العدل والحرية والمساواة وكلّ ما يتمناه غير ذلك.

وبالنظر إلى الممارسات التنظيرية لليوتوبيا التي عرفها الإنسان، على نحو ما رسمه «أفلاطون» في جمهوريته، و»الفارابي» في مدينته الفاضلة مروراً بتخييل «توماس مور» و»توماس كامبانيلا» صاحب (مدينة الشمس) ... وغيرهم، نجد أنّ الكلمة تسخر من أصحابها كلّ مرة فلا هي تتجسد فيستريح صاحبها ولا هي تغادر الأوراق بشكليها المعلن أو الضمني المضمر.

لقد ظلّ المكان على حاله لم يتغيّر والزمن هو الآخر باطّراده يقود العالم عموماً والدول المتخلفة ـ العربية منها ـ خصوصاً إلى غير هذه الجنة الموعودة، فالسجون قائمة والسلطات المستبدة تزيد في استبدادها يوماً بعد آخر، ناهيك عن الظلم والقهر والفقر الذي يعرفه الحالمون المنتظرون.

«وإذا كان المتخيّل اليوتوبي يعارض مدينة واقعية بائسة بمدينة متخيّلة نبيلة فإنّ الرواية تواجه سلب المدينة القائمة بيوتوبيا مضمرة، واضحة ملتبسة وأقرب إلى السؤال»[23]، فلا تفصح الرواية بذلك عن مدينتها، بل تضمرها، والسبب المباشر في ذلك عائد إلى أنّ الرواية ابنة التاريخ بامتياز، فالرواية مشدودة بقوة إلى التاريخ الإنساني، تؤوّله وترفض منه ما أرادت، لتتمنى بعدها تغييره، في حين يبقى التخييل اليوتوبي بمنأى عن كلّ ما يعيده إلى الماضي لأنّه لا يعرف غير المستقبل اللامكاني حضناً له، ولعلّ هذا الرحيل مثلما وصفه «فيصل دراج» هو ما جعل «المدينة اليوتوبية واضحة شفافة، لها ساحاتها الجميلة وبيوتها الأنيقة وسلطة لا تجانب تعاليم الحقيقة، على خلاف الرواية التي تنقض التاريخ الاجتماعي، الذي تعيشه وتلتزم به، بيوتوبيا مضمرة، أي بنسق مغاير من القيم والمعايير»[24].

إنّ اليوتوبيا المضمرة من خلال هذا الطرح هي نصيب الرواية من التخييل المستقبلي الحالم، هي خطاب مستتر قد يقابلنا في أيّ زاوية من زوايا الرواية وبأيّ صورة.

---

20 عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط7، 2003. ص 47

21 فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004. ص ص 22/ 23

22 بول ريكور، من النص إلى الفعل ـ أبحاث التأويل، تر: محمد برادة ـ حسان بورقية، دار الأمان، الرباط ـ المغرب، ط1، 2004. ص 270

23 فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ. ص 25

24 المرجع نفسه والصفحة نفسها.

2- يوتوبيا الرواية العربية

وقد كان للرواية العربية بخصوصياتها ومنطلقاتها الثقافية حظّها من ذلك لكن على نسب متفاوتة من رواية إلى أخرى حضوراً وغياباً، إعلاناً وإضماراً. وبالعودة إلى نماذجنا الروائية الثلاثة نجد أنّ اليوتوبيا قد تصدّت لموضوعات متنوعة جداً، منها العائلية، وتنظيم الحياة العامة، ودور الدين، وما إلى ذلك، وكلّ بمجاله وعالمه الذي يحلم به وهذا ما جعل هذه اليوتوبيا تتشظى إلى يوتوبيات جزئية عديدة في الرواية الواحدة أو في الروايات الثلاث، أهمها:

2-1/ اليوتوبيا الاجتماعية:

يأمل كل فرد في المجتمع أن ينال حريته ويحقق طموحاته وآماله في الحياة، فيرسم لذلك صورة لمستقبله الاجتماعي؛ كيف سيكون؟ من سيكون فيه معه؟ ما هي قواعده وقوانينه؟ وغيرها من الأمور التي يؤثث بها هذه الجنـة الصغيرة. وهذا النوع من اليوتوبيات تمثلته وبقوة الرواية العربية في منجزها، فانطلاقاً من اختيار الزوج أو الزوجة وصولاً إلى بناء المشاريع العائلية المستقبلية وإلى النهوض بالمجتمع من موقع معين تستطيع الشخصية أن تخدمه منه، كان الاهتمام بهذا المستقبل الاجتماعي كبيراً فيها.

وبتتبع ملامح هذا الوجه اليوتوبي من خلال النماذج التي بين أيدينا تبرز هذه الرؤية التي تبحث فيها الشخصية الروائية عن السعادة اللامحدودة، والوصول إلى مجتمع يتحقق فيه الإخاء ويختفي فيه الفقر والعوز والحاجة. ومن أجل ذلك استند الروائي إلى خياله في تصوير بعض ملامح هذه الصور التي وإن «لم تظهر بشكل عيني، إلا أنّها تظلّ تجليات للأمل وللأماني الإنسانية»[25].

وتتجلى معالم هذه اليوتوبيا أكثر في رواية الورداني، وبخاصة في قصة «عمر» وقصة «العائد من الخليج» القصتان اللتان مكنتا البحث من التفريق بين نوعين من اليوتوبيا الاجتماعية، الأولى جزئية والأخرى كلية:

2-1-1/ اليوتوبيا الاجتماعية الجزئية: وهي التي تقتصر فيها الأرض الموعودة والزمن الموعود على ذات الفرد الحالم لا تعدوه، وإن فعلت لا تتجاوز الأقرب إليه كعائلته، أي هي الأرض المستقبلية القائمة على الأنانية الفطرية الموجودة بالقوة في ذات الإنسان. وما يؤسس لهذا القول قصة العائد من الخليج باستباقاته الزمنية واستشرافاته المكانية التي طالعتنا بها الرواية، فأبرزت خصوصيات هذه الجنة التي يريدها «العائد» لنفسه ولأهله، حتى أنّه انزعج من وجود شخص واحد آخر معهم في البيت بالرغم من أنّه سائق سيارته، ومعين أهله طوال سنوات غيابه في الخليج.

25 عطيات أبو السعود، الأمل واليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ، منشأة المعارف، الإسكندرية - مصر، ط1، 1997. ص 358

2-1-2/ اليوتوبيا الاجتماعية الكليّة: وهي التي يتّسع فيها أفق الجنة لامتداد مساحتها إلى درجة تصبح فيها كافية لشعب كامل أو أمّة كاملة حسب نظرة الروائي إلى ما يجمع هذه الأمّة أو الشعب. وقصة «عمر» تضمر هذا النوع من اليوتوبيا، فالتاريخ الواحد والراهن الواحد جعل الشعب المصري يبحث عن مستقبل مأمول واحد، المستقبل الذي غيّبت الخلافات المصرية به، «المظاهرات كانت تضمُّ ناساً كثيرين. كل مجموعة تهتف وراء واحد»[26]، فما يريده الشعب من مطالب رأى فيها وهو صفّ واحد وموحد ما سينقله إلى الأفضل فسعى إلى نقل اللامتحقق أو الممكن التحقق إلى المتحقق.

2-2/ اليوتوبيا السياسية:

وتتضح أكثر ملامح هذه اليوتوبيا في رواية «الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل»، حيث الصراع محتدم بين الصهاينة والفلسطينيين لا من أجل حاضر المكان بل من أجل غده، وهو الأمر الذي خلق تبايناً في النظر اليوتوبي إلى فلسطين/إسرائيل المستقبل بين الفلسطيني والصهيوني، النظرتين اللتين سيعرض لهما البحث كلاً على حدة:

2-2-1/ يوتوبيا الصهيوني: إنّها يوتوبيا قديمة متجددة، تعود إلى زمن الشتات اليهودي وإلى ذوبانهم في مجتمعات مختلفة خاصة منها الأوروبية، حيث «وجد اليهودي أنّ هذا الذوبان لا يمثل حلاً عملياً للمسألة، لأنّه وجد إخوانه المقيمين وسط الأمم الأخرى غير الأوروبية لا يمكن أن يلتحموا عضوياً بهذه المجتمعات فعاد إلى رأي المتزمتين دينياً المتعصبين إلى مملكة داود عليه السلام الذين كانوا كلّما صلوا أعقبوا صلاتهم بقولهم: العام المقبل في أورشليم»[27].

لقد اعتبر اليهود فلسطين أرض السعادة التي فقدت، فكان هدفهم العودة إليها فركّزوا عليها إلى أن صارت حلماً يوتوبياً لدى العام والخاص منهم. يقول «هرتزل»[*] في أوّل مؤتمر صهيوني في مدينة بال سنة 1897: «إنَّ هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام»[28]. فكان بذلك البعث القومي الذي استمدت منه العبقرية الدينية لليهود القوة الجديدة التي تجمعهم وتمنحهم حقّ التوحد والاتصال بالروح التي تسكن الأرض المقدّسة.

بدأت المأساة على أرض فلسطين وحقق اليهود النصف الأكبر من حلمهم بمساعدة أعتى القوى في العالم، إلا أنّ استكمال هذا الحلم نقضته وتنقضه المقاومة التي وجدوها من قبل الشعب الفلسطيني، هذا من

26 محمود الورداني، أوان القطاف. ص 72

27 أسعد عبد الرحمن، المنظمة الصهيونية العالمية ـ تنظيمها وأعمالها 1897- 1948، منظمة التحرير الفلسطينية (مركز الأبحاث) بيروت ـ لبنان، دط، دت. ص 17 (بالتصرف).

(*)- هو "ثيودور هرتزل" (1860- 1904)، صحفي يهودي نمساوي مَجَري، مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة. ولد في "بودبست" وتوفي في "إدلخ" بالنمسا.

28 عطيات أبو السعود، الأمل واليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ. ص 409

جهة، ومن جهة أخرى نتيجة لأعمالهم الشنيعة وجرائمهم التي ارتكبوها في حق الأبرياء من أبناء الشعب الفلسطيني، الأمر الذي ألّب الكثير من الدول ضدّهم، وكذلك الكثير من اليهود ممّن تغلبت عليهم نزعتهم الإنسانية فوصفوا «الصهيونية بأنّها نزعة عنصرية قائمة على الوعي الزائف، مقرِّين بأنّ دولة إسرائيل التي قامت للهروب من الفاشية أصبحت هي نفسها دولة فاشية»[29].

إنّ رواية «المتشائل» عبّرت عن هذا الحلم من خلال أسطح معمارية أضمرت اليوتوبيا وأظهرت بدلاً منها رغبة الصهيوني في استكمال حلمه، فطرد الفلسطينيين وإقامة المستوطنات وتغيير وجه فلسطين القديمة بدوالها ومدلولاتها كلّها أفعال مصرّح بها لتشي بالرغبة الجامحة التي مازالت تسكن المحتل في إقامة دولة الحلم التي تجمع أوّلاً كلّ اليهود لتغسلهم بماء القدس فتزول عنهم لعنة التيه، ثمّ تنشرهم في اللازمن واللامكان الذي تعمل جاهدة لتستكمل صورته بقتل المقاومة وكسب الرأي العام بشتى السبل.

2-2-2/ يوتوبيا الفلسطيني: وظهرت في الرواية يوتوبيا معكوسة، لأنّ الإنسان في العادة يحلم بما لم يستطع الحصول عليه لكنَّ الفلسطيني قلب الصورة مقهوراً فأصبح يحلم باستعادة شيء كان من زمن قريب ملكه، فاستعادة المكان في الزمن اللاحق هو جذوة الهمّ الفلسطيني «إنّه وعي الأرض بوصفها امتداداً للإنسان في المكان، ووعي المبدع/المفكر العربي لنفسه بوصفه امتداداً لها في الزمان أيضاً (...)، فالإنسان هو الأرض، وهي تتحرك في الزمن، إنَّها الأساس الوحيد للإحساس بالانتماء الفكري والإيديولوجي في الزمن والمكان»[30]، لذا نجد أنّ رواية «المتشائل» قد ركّزت على فكرة الترحيل والعودة وعلى فكرة الإقامة، والأبرز على فكرة المقاومة التي ربطتها بالجيل الصاعد [مثلما تمّت الإشارة إلى الأمر سابقاً] جيل الكفاح والصمود جيل المستقبل الذي يسعى إلى استعادة البيت والوطن، واسترداد الحلم الجميل الذي عرفه في يوم من الأيام، وهو ما يستدعي ـ مثلما أشارت الرواية ـ عدم المطابقة بين مفهوم الدولة ومعنى الوطن في الظروف القائمة، ولا بين مفهوم الواقع ومفهوم الحق، فالواقع حاضر زَبَده القهر والضعف، والحق مستقبل زُبدته فرض الوجود واستعادة الأرض الحلم.

3-2/ اليوتوبيا الدينية:

والمقصود باليوتوبيا الدينية هو ما كان الدين فيه أساس التبصر، فترسم المستقبل الموعود متكاملاً تحت ما يفرضه هذا الدّين ولا يخالفه. وقد عكست رواية «الولي الطاهر يرفع يديه للدعاء» هذه الرؤية جيداً بالرغم من جمعها لما هو ديني بالسياسي. فالموضوع العام للنص سياسي بالدرجة الأولى لكنّ الموقع المنظور منه والمنطلق الاستشرافي المستند إليه ديني سواء بالنسبة إلى لغة التعبير الصوفية أو المكان الذي ركّز عليه

29 المرجع نفسه. ص 410

30 عبد القادر شرشار، خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي ـ الصهيوني. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005. ص ص 162- 163

الروائي وهو العالم العربي والإسلامي؛ أمّا بالنسبة إلى الصوفيـة فإنّه إلى جانب أنّها طريقة فنية للتعبير هي طريقة سلوكية فردية، وحقيقة جمعوية تهدف إلى تجاوز المألوف غير المرضي إلى ما هو أكثر إرضاء، لذلك نجدها قد دعت وما زالت تدعو إلى حلول أو بناء واقع جديد يتجاوز غيره «وقد دعت إلى هذا التغيير عن طريق شفرة لغوية جديدة أيضاً، لأنّها كانت دعوة خاصة بطبقـة معينة من أهل الطريق ـ أهل الحقيقة»[31] أمّا بالنسبة إلى الوطن الإسلامي فالتركيز عليه دون غيره يشي بمصدر الرؤية التي تحرك الروائي، يقول «وطار» في تأشيرة العبور التي خطّها للرواية: «الولي الطاهر سواء أكان سيدي بولزمان أم الولي الطاهر، كما عبرت عنه، حسبما يبدو لي، هو العقل الباطن للإنسان المسلم المعاصر، في تجلياته العديدة، التي تتمثل في الحركات الإسلامية بشكليها الفردي أو الجماعي، في الحركية أو السكونية. كما هو في ردود الأفعال التشنجية أو الرافضة سلباً»[32]، فالمنطلق إذن ديني إسلامي يعكس الحيرة التي يعيشها الروائي، وكذلك المركزية التي سيأخذها هذا الدين ليكون خلفية رئيسة للتبصر، وبناء المبتغى الذي يحلم به الولي الطاهر في النص.

وعن هذا المبتغى ترصد لنا الرواية يوتوبيا الولي وحلمه في تأسيس أمّة جديدة بعيدة عن الوباء، وقد كانت هذه الأمّة أمّة المستقبل المحصنة التي تمتثل لتعاليم الشريعة الإسلامية ذكراً وصلاة وغضاً للبصر وطلباً للعلم، وما إلى ذلك ممّا فرضه الولي على المريدين والمريدات، وذلك من أجل التأسيس لعالم إسلامي جديد قائم في مكان آخر، أو في اللامكان، يتميز بأفراده المعزولين عن الشرور الإنسانية، وبنسق حياتي مخالف للنسق القائم، حيث يقضي أفراد هذا المجتمع الجديد أوقاتهم بما يهندس الروح ويصقل الأخلاق في جنّة يؤطرها النظام الشفاف الذي يؤسس له الدين الإسلامي.

لقد كان «وطار» وهو يسرد تفاصيل هذا العالم الجديد يعكس روح الحاضر المتناقضة محيلاً على تنوير مجزوء وعلى سلطة سياسية فاسدة، لذا فقد جاءت اليوتوبيا المضمرة التي أرادها رفضاً لواقع عربي وإسلامي بائس، واحتجاجاً على ما تنكره المعرفة الأخلاقية وتبشيراً بمدينة أخرى، مدينة إسلامية شبيهة بالمدينة التي أسسها الرسول (صلّى الله عليه وسلم) في أوّل عهد للناس برسالته، ولعلّ هذه المفارقة الصاخبة بين الواقع من جهة والماضي الجميل والمستقبل المنشود من جهة أخرى هي ما جعلت الروائي يميل إلى السخرية من هذا الواقع العربي والإسلامي والتهكم بأهله في أكثر من موضع.

3- الواقع العربي واليوتوبيا المضمرة:

جاء البحث سابقاً على ذكر العلاقة الوطيدة التي تجمع التاريخ بيوتوبيا الرواية أو اليوتوبيا المضمرة التي لا تصرح بمدينتها/جنتها التي تريد بسبب وفائها لهذا التاريخ الذي تستثمره لتحقق قيمها اليوتوبية

31 محمد كعوان، الكتابة بين الوجودية والسريالية والصوفية، مجلـة الدراسات الأدبيـة في الثقافتين العربية والفارسية وتفاعلهما، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ـ لبنان. العدد: 13، 2005، ص 192

32 الطاهر وطار، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء. ص 9

فيه[33]، غير أنّ الرواية قد تتجاوز ـ في بعض الأحيان ـ ذلك إلى القبض على تلابيب التاريخ بعد العودة إليه لتنتقل به نحو المستقبل لإعادة إنتاجه مرة أخرى؛ وذلك حين يرى الروائي المستقبل في الماضي الذي يعيد نفسه [مثلما هو الحال في رواية أوان القطاف]، أو حين يستبصر الحل المستقبلي في العودة إلى هذا الماضي الحلم [الأمر الذي عكسته رواية الطاهر وطار] فتتعقد بذلك العلاقة بينهما إلى أقصى حد.

وبين التاريخ المستدعى والمؤوّل الذي يحاول الروائي إعادة توليده والمستقبل اليوتوبي الذي يحلم به، يرفض هذا الروائي ـ قطعاً ـ الواقع الذي ينتمي إليه أو بعضاً منه فيؤشكل عمله محاولاً في خضم ذلك إعادة تأثيث هذا الواقع بما ينقصه ليصل به درجة الكمال التخييلي التي يريدها، لذا نجد أنّ الروايات الثلاث التي يشتغل عليها البحث قد اعتمدت ـ بدرجة متفاوتة ـ على الواقع فصورته كاشفة ما فيه من سلبيات ارتأى معدّدوها ضرورة تجاوزها بحلول معينة، ثم لجأت إلى اليوتوبيا، إلى واقع فكري أو ذهني اكتفى بالنظرة إلى الراهن العربي المتقهقر لتصنع غيره بعيداً عن هذه السلبيات، فحمل خطاب الروايات الثلاث إلى القارئ واقعاً جديداً غير متحقّق تخفيه الكلمات وتفضحه القراءة الفاحصة. ومن ضمن القضايا العربية الراهنة التي استندت إليها النصوص النماذج في رفضها للواقع القائم، هروباً منه، وتأسيساً لعالم افتراضي جديد نجد:

ـ قضية الاستعمار بشكليه المباشر وغير المباشر

ـ الموقع الحضاري الذي تشغله الأمّة الإسلامية بين الأمم الأخرى

ـ الصراعات السياسية الداخلية والصراعات العربية العربية

ـ تفكك البنية الثقافية العربية والإسلامية

ـ المشكلات الاجتماعية (الفقر/الجوع/الطبقية/البطالة ...)

ـ اعتماد الدخل القومي الواحد (عائدات النفط)

ـ اغتراب الذات العربية والإسلامية على جميع الأصعدة

إنّ تحديد هذه المشكلات وغيرها من طرف الروائيين العرب جعلهم يبحثون عن عالم جديد يخلو منها، ولأنّهم لم يجدوه أمامهم واقعاً متحققاً، أسّسوا له إبداعياً بيوتوبيا مضمرة غير مكتملة الصورة، إذ كل رواية من الروايات تعالج جانباً معيناً من هذه القضايا، لتحاول تجاوزها تخييلياً. لكن بالنظر إليها بنيةً واحدة فإنّنا سنجد أنفسنا أمام يوتوبيا عربية متكاملة يريدها الروائيون العرب للعالم العربي والإسلامي، لنقرّر معهم أنّ

33 فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، ينظر: ص 25

العملية تأسيسية بمخيال قوي لمدينة كبيرة، بقدر رسوخها تاريخياً هي مدينة تتجاوز حقيقة الواقع الموبوء نحو اللامكان.

وباستثناء رواية الولي الطاهر التي اعتبرت الهروب بدين الله حلاً لقيام المدينة الحلم نجد أنّ رواية «الورداني» ورواية «إميل حبيبي» قد اعتبرتا الثورة هي الحل الأنجع لكل المشكلات المطروحة، والمقصود هو الثورة بمعناها الحضاري أي بمعنى الكينونة التي «يختلط فيها الفكر والخبرة والوعي بالممارسة لإنتاج الفاعلية الثورية»[34]، والقول بالوعي وإدماجه في المفهوم ضروري لأنّه «هو الذي سيساعد الذات على الانتقال من مرحلة الحلم إلى مرحلة الحقيقة بمعناها الفكري، أو من مرحلة (الهو) إلى مرحلة (الأنا) بمعناها السيكولوجي، أو من مرحلة الاستهلاك إلى مرحلة الإنتاج بمعناها الاقتصادي والثقافي»[35]، أمّا «الفاعلية الثورية فلا تعني الانخراط في علاقات عمل في النظام الاجتماعي طبقاً لما تمليه طبيعة العمل على الفرد، بل تعني قدرة الفرد على تغيير المحيط المادي والاجتماعي، ليكون الفكر ابتكاراً وليس تعبيراً»[36].

لقد استوعبت الرواية العربية جيداً هذا المفهوم الحضاري للثورة ودعت إليه ومازالت تفعل ذلك، لأنّ الثورة في حدّ ذاتها حلم، فهي القوة الخارقة التي أيقظت قديماً (الأنا) من غفلتها، ليتحقق مبتغاها اليوتوبي عياناً، ولتقوم قائمة الواقع الحلم الذي يفرض على الفرد التعرف على نفسه في حضور هويته، لأنّ الثورة يكتمل انتصارها عندما تتعرف (الأنا) على سلبياتها وإيجابياتها وقدراتها داخل نفسها، بدلاً من أن تكون نتاجاً لممارسات الآخر الذي سيزيدها اغتراباً على اغترابها. الأمر الذي سعت إليه الرواية العربية وكشفته لنا النماذج الروائية التي هي بين أيدينا.

لكن هل تحقق الحلم الروائي؟ أو على الأقل هل هناك تباشير لتحققه؟

بالعودة إلى الروايات العربية ومقارنة منشودها مع الواقع العربي والإسلامي القائم، وبتتبع هذه العملية زمنياً نصل إلى نتيجة مفادها أنّ اليوتوبيا العربية المضمرة في رواياتها غائبة كل الغياب في الإطار الأكبر المنتج لها، فهي مجرد تخييل قائم في أذهان المثقفين لم تغادر مقاهيهم يوماً. أمّا على مستوى النص فالملاحظ أنّ إضمارها يزيد كل مرّة عن سابقتها إلى درجة وصلت فيها الرواية العربية إلى أن عكست في بعض الأعمال الحلم المستقبلي الجميل وقلبته رأساً على عقب، فنسفت المفهوم القديم لليوتوبيا واستبدلته بأفكار أخرى مضادة تسخر من المفهوم الأول وتهجوه، تخلع عنه حلمه بواقع فج، فاستبدلت اليوتوبيا الحالمة التي تقرأ الواقع وتسحبه إلى أعلى بيوتوبيا أرضية تقرأ الواقع بيأس نتيجة سوداويته وتسحبه إلى أسفل. وهو ما عبّرت عنه الروايات الثلاث؛ فلا الولي الطاهر نجح في تأسيس مدينته، ولا سعيد أبي النحس المتشائل

34 عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة ـ استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى، جدارا للكتاب العالمي عمان ـ الأردن، ط1، 2009. ص 161

35 المرجع نفسه والصفحة نفسها.

36 المرجع نفسه. ص ص 161/ 162

الذي مازال الاستعمار الصهيوني يقبع على كاهله وكاهل وطنه إلى اليوم، وهو الفشل نفسه الذي جعل «الورداني» يبعث فعل القتل مع رياح الزمن بلا رحمة نحو المستقبل العربي ليعيث في مستقبلهم فساداً مثلما عاث في حاضرهم وماضيهم بأيدٍ عربية وغير عربية، وذلك لأنّه وجد أنّ الحقبة التي يعيشها العربي حقبة فيها توقع ضئيل بأن يكون المستقبل أمراً مختلفاً عن الحاضر.

على سبيل الختام:

إنّ البحث في موضوع الاستشراف، من تجلياته داخل النص الروائي العربي إلى تمظهراته الخارج النصيّة التي استبصرها الروائي وانطلق منها بغية التأسيس لرؤية وفلسفة كليّة تخصّ المستقبل العربي والإسلامي، ذلك المستقبل «المليء بالتحولات والمثخن بالغموض»، يكشف لنا أوّل ما يكشف عن ثراء النصوص الروائية العربية فكرياً، وإلى جانب هذا، عن روائيين مبدعين امتلكوا القدرة على الاستشراف فاستشعروا الأحداث المقبلة من خلال معطيات الواقع ليسكبوها بلغة جمالية في نصوص تحمل رؤاهم وتشكلـها سردياً بآليات فنية معبـرة بذاتها عن القـادم من الزمن.

وبالرغم من مركزية الحاضر التخييلي سردياً في الرواية إلا أنّ المستقبل يبقى الزمن الذي تتحرك نحوه بلغتها فتطلبه هي مثلما يطلبه الروائي في الواقع، وهي في هذا تتشاكل بزمنها مع الزمن النفسي للمبدع. فالاستشراف في النص ما هو إلا تعبير عن قلق دائم إزاء المستقبل فيجعل الروائي هذا النص مطية ينقل من خلاله إلى القارئ ما يراه من شرفته، ليبشر عن غيث لاحق أو عن غيوم قاتمة تنذر بحسبان قادم.

والرواية العربية من خلال النماذج المدروسة قد عبّرت عن المستقبل بمنظورين: أحدهما أبيض نقل المستقبل الاجتماعي والسياسي والحضاري الذي تريده الشخصيات الروائية، فكان بمثابة الحلم الذي أرادته أن يتحقق، والجنة المبتغاة، فسعت إلى غد متحرر عادل ينسيها ألم الحاضر بصورة مثالية تنقض كل نقائص الواقع وتتجاوزها إلى عالم أفضل. أمّا بالنسبة إلى المنظور الثاني فسوداوي يعكس المستقبل المعتم الذي لا يتحقق فيه أيّ شيء ممّا تتمناه الشخصية العربية والإسلامية في النص، وكـأنّ الرواية العربية بذلك تصرّح بالحاضر الأسود المتجددة صورته في المستقبل، بالرغم من أماني الشعب في التغيير. وبذلك تكون كل الروايات قد خلصت فكرياً إلى سوداوية المستقبل، بل وسلّمت بمصير عربي تضيع فيه الحقوق بعد ضياع القلب النابض فلسطين، وبنفاد الموارد الطبيعية وعلى رأسها البترول، وصراعات بالجملة ستكون سبباً للتشتت والتيه في الأرض، وبفعل الذبح الذي سيصير لعنة على العرب والمسلمين، فيطال كل الرؤوس دون أيِّ استثناء.

وبالرغم من هذا لم يكتفِ الروائي العربي برسم صورة المستقبل العربي والإسلامي السوداء فقط بل قام بتقديم بديل للحيلولة دون هذا المستقبل، فـ «إميل حبيبي» بعد أن أقرّ بلغة واصفة ضياع الوطن في

ظلّ صمت عربي رهيب قدّم حلّـه القائم على الصمـود في وجه الصهاينة وإعلان الثورة عليهم، ولسبب أو لآخر شهد بالأوّل وأشار إليه، وأخّر الثاني وأجّل تاريخه إلى زمن لم نصل إليه بعد، وهو الحلّ نفسه الذي اختاره «الورداني» في نصه، من أجل تغيير الواقع، فالثورة الشعبية أُقرّت حلاً لكل فساد سياسي قائم ليبقى المستقبل المنشود معلّقاً بدرجة الالتفاف والتضامن والتلاحم بين القوى المنهوكة، الأمر الذي لم يحصل أيام الحسين الذي قطع رأسه جراء تطلعه إلى واقع سياسي أفضل والذي بقيت نتيجته هو الآخر معلقة مع عمر، رمز الجيل الصاعد، لتصدق مع ما سُمي بالربيع العربي الذي نشهده اليوم ومن الساحة نفسها التي بنى الروائي فيها صورته التخييلية. أمّا بشأن مشروع الولي الإسلامي فقد كان حلّ الروائي «الطاهر وطار» الذي عاد فيه إلى التاريـخ لبناء مجتمع عربي وإسلامي جديد، لكنّه ما فتئ أن أعلن فشل مشروعه لتفشي الوباء أو الفساد الذي عمّ كل ربوع الوطن العربي ونخر جسد الأمّة، ليؤجل هذا المستقبل مرّة أخرى، إلى جيل إسلامي آخر، جيل ما بعد البترول، والذي لأجله ترك الروائي الولي حيّاً، ومقامه منتصباً، ونهاية الرواية مفتوحة على كلّ الاحتمالات.

وفي الأخير نستطيع أن نجزم بأنه وبالرغم من تأخر الرواية عربياً مقارنة بالشعر إلا أنّها غدت تقاسمه الهموم بل وتضارعه قوة في كشف المستور، فالرواية تستشرف الحدث وتكشف خبايا المستقبل، وقد أظهرت مثل الشعر أو أحسن منه سوداوية الواقع، وحذرت من الكوارث. فقد انطلقت من الرؤية باتجاه الاستشراف، فنقلتنا من ضيق المكان إلى فضاء المغامرة الذي لا يؤمن بالسقف أو محدودية البصر.

قائمة المصادر والمراجع

- أسعد عبد الرحمن، المنظمة الصهيونية العالمية ـ تنظيمها وأعمالها -1897 1948، منظمة التحرير الفلسطينية (مركز الأبحاث) بيروت ـ لبنان، دط، دت.
- بول ريكور، من النص إلى الفعل ـ أبحاث التأويل، تر: محمد برادة ـ حسان بورقية، دار الأمان، الرباط ـ المغرب، ط1، 2004
- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط2، 2009
- رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق، عمّان ـ الأردن، ط1، 2003
- الطاهر وطار، الرواية هي ملحمة الحياة، حوار أجراه معه: الخير شوار، الملحق الأدبي لجريدة اليوم الجزائرية، 18 أكتوبر 2004
- الطاهر وطار، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء. منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005
- عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، تونس ـ تونس، ط1، 1988
- عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة ـ استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى، جدارا للكتاب العالمي عمان ـ الأردن، ط1، 2009
- عبد القادر شرشار، خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي ـ الصهيوني. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005
- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط7، 2003
- عطيات أبو السعود، الأمل واليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ، منشأة المعارف، الإسكندرية- مصر، ط1، 1997
- عمر عيلان، الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي ـ دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة ـ الجزائر، ط1، 2001
- فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ.المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004
- فيصل دراج، الواقع والمثال ـ مساهمة في علاقات الأدب والسياسة، دار الفكر الجديد، بيروت ـ لبنان، ط1، 1989
- فيصل دراج، رواية التقدم واغتراب المستقبل، دار الآداب، بيروت - لبنان. ط1، 2010
- فيصل دراج، الرواية تكتب صبيها الواعد، مجلة العربي، الكويت، العدد: 622 ـ سبتمبر 2010
- محمد كعوان، الكتابة بين الوجودية والسريالية والصوفية، مجلة الدراسات الأدبية في الثقافتين العربية والفارسية وتفاعلهما، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ـ لبنان. العدد: 13، 2005
- محمود الورداني، أوان القطاف. دار الهلال، الفاهرة ـ مصر، ط1، 2002

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2016

جميع الحقوق محفوظة © 2016